المحاضرة 1

الأدب الجزائري القديم (1)

قبل الوقوف على مفهوم الأدب الجزائر وطرح بعض المفاهيم والإشكالات التي تعتريه، وجدنا من الجدير بنا الوقوف على الخصائص التاريخية والجغرافية للمنطقة في القديم، والتي لازالت محل نقاش لقلة وضياع كثير من المؤلفات.

ومهما يكن من أمر فإن الأدب الجزائري أفرزته مراحل تاريخية متعاقبة تكونت من الجزائري المحلي والأمم المتعاقبة، وانصهرت كلها وتفاعلت عبر قرون واندمجت في الأخير لتقدم أدبا جزائريا عربا متميزا بخصوصيته، أدب يخضع لبيئته بكل عناصرها ومجتمعه بعاداته وأفكار.

أصل السكان:

في القرن الثالث قبل الميلاد وفد إلى شمال إفريقيا قبائل من جزيرة العرب من أبناء مازيغ بن كنعان ابن حام ابن نوح عليه السلام، ثم هاجرت إليها قبائل من فلسطين قد فرت من يشوع بن نون، ومنها عرب يمانيون جاؤوا مع "افريقش أحد ملوك اليمن ومنهم قبيلتي كتامة وقبيلة صنهاجة، ومنها أقوام أتت من الأندلس مع قدوم اليونان إلى المنطقة، وكل هذه الأقوام والأجناس امتزجت بالسكان الأصليين مكونيين عبر قرون عنصر البربر، وهو اسم أطلقه عليم اليونان ثم الرومان، كونهم أجانب عنهم ولا يتكلمون لغتهم، والقبائل العربية التي عمرت الجزائر تتفرع من ثلاث قبائل كبيرة: صنهاجة وكتامة وزناتة .

وكانت لغتهم بسيطة ثم تطورت بمرور الزمن متأثرة بلغات الأمم التي استوطنتهم (وكانت حروف اللغة البربرية عبارة عن رسوما، وكان الخط البربري يتركب من عشر حروف يسمونها" تيفيناغ من وضع البشر، وهذا الخط على قول"فوكولد" يستحيل تدوين الكتب به، ولم يبقى له أي أثر في إفريقيا الشمالية سوى بالصحراء عند الطوارق، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الخط البربري القول إن اللغة البربرية حديثة العهد حديث العهد يرجع اختراعه إلى ماصينيصا في القرن الثالث قبل الميلاد وضعه على نمط الحروف الهجائية الفينيقية) ، لشدة تأثره بحضارتهم ورغبته في تطور شعبه بهم.

لقد قدم الفينيقيون إلى شمال إفريقيا بسبب التجارة واندمجوا مع سكان المنطقة بسهولة، لأنهم لم يكونوا مستعمرين كما كانت روما، وقد أعجب بهم **ماسينيسا** موحد البربر بعد قضائه على **سيفاكس**، وتعلم الفينيقية وفتح مدارس عدة لتعليم شعبه وتطويره، حتى صارت لغة يتكلم بها غالبية السكان البرابرة

وبمجيء الرومان– الذين كان لهم الوجه الاستعماري– إذ ضيقوا الخناق على السكان وأهانوهم وسلبوا منهم الأراضي الخصبة وثاروا ضدهم بزعامة يوغرطة الذي سرعان ما قضت عليه روما.

لقد كان للرومان الحضور القوي سياسيا وثقافيا وأدبيا في ذلك الوقت، وحاولوا التأثير على الأهالي بترسيخ حضورهم وبث سلطتهم وتعميم لغتهم، وبرغم إعراض السكان إلا أنه برزت فئة أقبلت على لغتهم وثقافتهم ومنهم **يوبا الثاني**، وأسقف بونا القديس **اوغستين، وأبطات** راهب مدينة ميلة، **وبوسيديوس** أسقف قالمة وهو مؤرخ القديس أوغستين وكلهم تعلموا اللاتينية وصبغوها بصبغة وطنهم وحافظوا في ذلك على أصلهم وهويتهم ، إلى جانب صاحب أول رواية في تاريخ الإنسانية **أبوليوس، وديوان الأزاهير**

لقد وُجد الأدب في الجزائر منذ القديم، ورافق التحولات عبر التاريخ هذا يا يقره كثير من الباحثين مقدمين في ذلك آراء ومستندين إلى جملة من المعطيات الثقافية والتاريخية، وعليه كل أديب ولد في الجزائر أو مكث فيها واستوطنها طوال حياته أو توفي بها فهو جزائري، بحكم ذلك التأثر والتشابك والمصاهرة والاندماج نتيجة طول المدة.

والسبب في ذلك يرجع لقلة المصادر عن الأدب الجزائري إن لم نقل غيابها، ولكثرة ما ضاع من تراثنا وإهماله.

تعريف الأدب الجزائري القديم:

هو مجموع الأعمال الأدبية والنصوص التي كتبت من قبل كتاب جزائريين، عاشوا في الجزائر أو قضوا فيها حقبة معينة من حياتهم أين تفاعلت مخيلتهم، والواقع الجزائري فعكسوا سيمات هذا المجتمع، من خلال موضوعات تعد من خصوصية الثقافة الجزائرية القديمة. والقديم مفهوم زمني بحت، وهو صفة متعلقة بالأدب الجزائري في مرحلة بدأت من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية.

نشأة الأدب الجزائري:

أرخ عبد الملك مرتاض في كتابه الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، بداية الأدب الجزائري من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية نسبة إلى مؤسسيها عبد الرحمن بن رستم زعيم الخوارج الإباضيي، وكانت عاصمة الرستميين مدينة تيهرت، والجدير بالذكر أن الدولة الرستمية تمثل صدر الإسلام بالجزائر (القرن الثاني هجري/الثامن الميلادي) ومؤسسها عبد الرحمن بن رستم .

_ **الفترة الرستمية (160 هـ – 299هـ):** في بداية تاريخ المسلمين العلمي بما كان من اقبال المنصور العباسي فمن بعده على تجهيز المسلمين بالعلوم والمعارف بعد ما قضوا لبانتهم من الآداب العربية وبلغوا فيها الدرجة السامية أيام بني أمية.

وقد عني الرستميون بنقل الكتب التي تظهر بالمشرق منبع الحركة الفكرية الاسلامية. ولكن عنايتهم بالعلوم الدينية أشد. فكانوا ايمة في العلم كما كانوا ايمة في السياسة يتدارسون التفسير والحديث والفقه والكلام والاخبار والاشعار والعلوم الرياضية. واشتهروا بالتنجيم والرمل. فعبد الرحمن كان مفسرا وله في التفسير تأليف. وابنه عبد

الوهاب برز في العلوم الدينية. ونبغ أفلح في الأدب، وكان من أئمة بني رستم من انتصب للتدريس بالمساجد العامة، وأرسل عبد الوهاب إلى إباضية البصرة ألف دينار ليشتروا له بها كتبا. فلما بلغتهم اشتروها ورقا استنسخوه كتبا. قالوا فكانت تلك الكتب وقر اربعين جملا. وجهوها له واتصل بها. وكانت بتيهرت مكتبة تدعى المعصومة قد حوت آلافا من المجلدات. ولما دخلت الشيعة تيهرت أحرقوا مكتبتها ما عدا كتب الرياضة والصنائع والفنون الدنيوية.

وكانت العربية هي لسان الدولة الرسمي. يدل لذلك رسائل الرستميين الى الامة البربرية في الحث على الطاعة والتمسك بالدين، وعقود ولايتهم لعمالهم بطرابلس. وقد أثبت الباروني نصوص رسائل وعقود. وكانت العربية لسان علومهم وآدابهم أيضا. اذ جل عنايتهم بالعلوم الدينية التي لا لغة لها غير العربية.

وكان بالمملكة التيهرتية مذاهب غير الاباضية. منها الصفرية. كان لهم حصن تالغمت (يدعى اليوم تيلغمت. وهو وسط بين الاغواط وغرداية). والواصلية. مجمعهم قريب من تيهرت. يسكنون بيوت الشعر. ويعتدون في نحو ثلاثين الفا. والعراقيون الشهيرون بالرأي والقياس والحجازيون الشهيرون بالسنة والاثر.

ولهذه الطوائف مساجدها وعلماؤها وحلق دروسها. وكانوا بتيهرت يجتمعون للمناظرة والمباحثة في دائرة الادب وقانون العلم بغاية الحرية. قال ابن الصغير: "ومن أتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة. وكذلك من اتى من الاباضية الى حلق غيرهم كان سبيله ذلك". وقال متحدثا عن الاباضيين:

" ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم ولا يكشفونه عن حاله. ولو رأوه رافعا يديه، ما خلا المسجد الجامع فانهم اذا رأوا فيه من رفع يديه منعوه وزجروه فان عاد ضربوه". قال الباروني: والمسجد الجامع هو مسجد الامام. ولعلهم يفعلون ذلك بغير اذنه وعلمه. يريد ان ذلك من متعصبة العامة التي كثيرا ما تنصر دينها بما تأباه مبادي ذلك الدين نفسه.

أصبحت تيهرت معدن العلم والادب ومحط رحال الطلبة حتى قال فيها أبو عبد الله البنا: "يفضلونها على دمشق وأخطأوا وعلى قرطبة وما أظنهم اصابوا". ولست أشك في انها دونهما ولكن حضورها في الذهن بحضورهما يكفي دليلا على تقدمها ورقيها.

وقد نسب اليها علماء كثيرون في مختلف الفنون. ذكر الباريي طائفة منهم. والفتن التي استمرت بتيهرت أواخر الحكومة الرستمية وبعدها ترشد الى أن الذين آثارهم أكثر من الذين عرفوا. فمنهم أبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي البزاز. روى عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره. ومنهم الشيخ أبو سهل. كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري. ألف به تآليف احترقت في بعض الفتن. وتولى خطة الترجمة للامامين أفلح ويوسف. ومنهم أبو عبيدة

كذلك نجد أن الدولة الرستمية كان لها اهتمام بالأدب العربي من شعر ونثر ، فأما النثر فيظهر ذلك جليا من خطب أئمة الدولة الرستمية ومراسلاتهم ، وأما الشعر فكان لهم نصيب فيه ولكن ليس كالنثر ، ومن شعراء الدولة الرستمية:

_ **الإمام أفلح بن عبد الوهاب:** من قصائده العصماء ذكر فيها فضل العلم ومزاياه والتحريض عليه التي يقول في مطلعها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا***وليلهم بشموس العلم قد نارا

يحيى به ذكرهم طول الزمان وقد***يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حي وإن مات ذو علم وذو ورع***إن كان في منهج الأبرار ما مارا

_**أحمد بن فتح، المعروف بابن الخزار التاهرتي:** أديب، شاعر، من أهل تاهرت. رحل إلى البصرة المغربية ومدح أبا العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم بن إدريس، بقصيدة ذكر ياقوت والمراكشي أبياتا منها في وصف نساء البصرة اللائي اختصصن "بالجمال الفائق والحسن الرائق، وفيهن يقول أحمد بن فتح التيهرتي في قصيدة مدح بها أبا العيش الحسني:

ما حاز كل الحسن إلا قينة*** بصرية في حمرة وبياض

الخمر في لحضاتها والورد في*** وجناتها هيفاء غير مفاض

في شكل مرجي ونسك مهاجر***وعفاف سني وسنتا إباض

_ بكر بن حماد الزناتي التاهرتي (200هـ – 295 هـ):

ومن شعراء الدولة الرستمية شاعر تيهرت بكر بن حماد الزناتي، من شعره:

قف بالقبور فنادي الهامدين بها***من أعظم بليت فيها وأجساد

قوم تقطعت الأسباب بينهم***من الوصال وصاروا تحت أطواد

راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا***فلن يروحوا ولن يغدوا لهم غادي

والله والله لو ردوا ولو نطقوا***إذا لقالوا : التقى من افضل الزاد

بالإضافة إلى من تقدم ذكره نجد أبو سهل، وله مصنفات احترقت في الفتن التي أصيبت بها تيهرت في أواخر الحكومة الرستمية، أبو الفضل أحمد بن القاسم البزار.. – أبو الفضل أحمد بن القاسم البزار، ابن الصغير الذي خلف كتابا تراكيبه أقرب من العامية منها إلى الفصحى. يهودا بن قريش التاهرتي: وهو واضع أساس النحو التنظيري، وقد اهتم بالبحث في اللغات (العربية والعبرانية والبربرية والآرامية).

فترة الأغالبة (184هـ _ 296 هـ):

اتخذ الأغالبة "طبنة"، الواقعة وسط إقليم الزاب الجزائري عاصمة لحكمهم. وأصبحت "طبنة" قاعدة الجزائر الشرقية في الحركة العلمية والأدبية التي أخذت تتطور شيئا فشيئا مع مطلع القرن الثالث فنلمس أثر الخيال والمهارة

بسب احتكاك الزابيين بالشرق بالإضافة إلى عنصر الطبيعة الذي أثر في خيال شاعر المغرب الأوسط، ومن الأسماء البارزة نجد **أبو عبد الله محمد بن الحسين الطبني** (300هـ - 394 هـ)؛ كان عالما بأخبار العرب و أنسابهم، أديبا متفنّنا، وشاعرا مكثرا مجيدا.

تميز محمّد بن الحسين بتعدد الأغراض، ففي الغزل يقول:

صدفت ظبية الرصافة عنّا*** وهي أشهى من كلّ ما يتمنّى

هجرتنا، فما إليها سبيل*** غير أنّا نقول: كانت و كنّا

- و قال في الخمر:

و اجتمعنا بعد التفرّق دهرا***فظللنا نقطّع العمر سكرا

لا يراني الإله إلاّ طريحاً***حيث تلقي الغصون حولي زهرا

قائلا كلّما فتحت جفوني***من نعاس الخمار زدني خمرا

- في الهجاء:

ووغد إن أردت له عقابا***عفا عن ذنبه حسبي و ديني

يؤنّبني بغيبة مستطيل ***ويلقاني بوجه مستكين

و قالوا قد هجاك فقلت كلبٌ***عوى جهلا إلى ليث العرينِ

_ في المدح: قال في مدح المنصور:

وَكُلُّ عَدُوٍّ أنت تَهْدِمُ عَرشَهُ***وَكُلُّ فُتُوحٍ عنك يُفْتَحُ بَابُهَا

وإنَّك من عبد المِليك الذي له***حُلَى فضتحِ قَرطَاجَنَّةٍ وانتِهابُهَا

جَبَاها أبو مَروانَ جَدُّك قابضا***بكفٍّ تليدٌ طعْنُها وضِرابُهَا

فإنْ سَنَحَتْ في الشِركِ من بَعْدِ فَتحِهِ***فُتُوحٌ فَمَصْرُوفٌ إليك ثَوَابُهَا

يصف الشاعر ممدوحه بالشجاعة وإلاقدام في الفتوح متخيرا أسلوبا سهال في عبارات واضحة، كما تتبين معرفته بمعالجة هذا الموضوع لأن الممدوح هو الخليفة المنصورفلا بد أن يختارمن المعاني ما يناسب المقام.

في وصف الطبيعة: يقول واصفا الحما ئم:

تغنت على الأغصان يوما حمائم***كما يتغنين القيان الأوانس

يظن الذي يصغي إليهن معبدا***أوابن سريج فيذربألايك جالس

يستعمل الشاعر الخيال في تشخيص الحمائم فيتخيل أن الحمائم هن ابن سريج أو معبد المغني.

محمد بن حسين الطبني، وظهر إسحاق الملشوني، نسبة إلى "ملشون"، وهي قرية من قرى بسكرة؛ وأبو الفضل عطية الطبني؛ وأبو العباس محمد البريدي، وهو أحد كتاب الدولة الأغلبية.

محاضرة رقم 2:

الأدب الجزائري القديم (2)

الفترة الفاطمية (296هـ _ 547هـ):

الدَّوْلَةُ الفَاطِمِيَّةُ أو الخِلَافَةُ الفَاطِمِيَّةُ أو الدَّوْلَةُ العُبَيْدِيَّةُ هي إحدى دُوَلِ الخِلافةُ الإسلاميَّة، والوحيدةُ بين دُوَلِ الخِلافةِ التي اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبًا رسميًّا لها. ظهرت سنة 290 هـ بزعامة أبي عبد الله بن محمد بن عبيد الله المهدي، وقد قامت هذه الدولة بعد أن نشط الدُعاة الإسماعيليّون في إذكاء الجذوة الحُسينيَّة ودعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهديّ المنتظر، الذين تنبؤوا جميعًا بظُهوره في القريب العاجل،[2] وذلك خلال العهد العبَّاسي فأصابوا بذلك نجاحًا في الأقاليم البعيدة عن مركز الحُكم خُصوصًا، بسبب مُطاردة العبَّاسيين لهم واضطهادهم في المشرق العربي، فانتقلوا إلى المغرب حيثُ تمكنوا من استقطاب الجماهير وسط قبيلة كتامة البربريَّة خصوصًا، وأعلنوا قيام الخِلافةِ بعد حين. واتخذوا من المهدية عاصمة لهم والتي أسسوها سنة 300 هـ

شملت الدولة الفاطميَّة مناطق وأقاليم واسعة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فامتدَّ نطاقها على طول الساحل المتوسطيّ من بلاد المغرب إلى مصر، ثُمَّ توسَّع الخُلفاء الفاطميّون أكثر فضمّوا إلى مُمتلكاتهم جزيرة صقلية، والشَّام، والحجاز، فأصبحت دولتهم أكبر دولةٍ استقلَّت عن الدولة العبَّاسيَّة.

وقد كان الفاطميون يهتمون بالفنون وبالعمارة، فتم تشييد المسيلة، وصارت تدعى المحمدية، وأصبحت عاصمة للزاب عوض طبنة، وتخذها الفاطميون عاصمة لهم في المغرب الأوسط، فقصدها أرباب الثقافة، ويرجع الفضل في ذلك إلى مؤسسها وواليها علي بن حمدون، والجدير بالذكر أن للصراع القائم بين علماء وأدباء الشيعة والسنة أثر محمود على الشعر حيث تفننوا في استخدام الحجج والعقل، وتميز أدباء هذه الفترة بالثقافة والمرونة، ومن شعرائهم: **ابن هانئ 396هـ** ، الذي جعله من تشيعه للفاطميين سبيلا في إسرافه في مدح المعز لدين الله الفاطمي، وبذلك يمكن أن نسجل تأثر الشعر المغرب الأوسط بالمذهب العقدي، وهذه الأبيات دليل على ذلك؛ فيها يخاطب ابن هانئ المعز لدين الله، ويصف أسطوله:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ***فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

و كأنّما أنتَ النبيُّ محمّدٌ***وكأنّما أنصاركَ الانصارُ

أنتَ الذي كانتْ تُبشِّرنَا بهِ***في كُتْبِها الأحبارُ والأخبارُ

هذا إمامُ المتَّقينَ ومنْ بهِ***قد دُوِّخَ الطُّغيانُ والكُفّار

هذا الذي ترجى النجاةُ بحبِّهِ***و به يحطُّ الإصرُ والأوزار

هذا الذي تجدي شفاعته غداً***وتفجَّرَتْ وتدفَّقَتْ أنهار

من آل أحمدَ كلَّ فخرٍ لم يكنْ***يُنْمَى إليهم ليس فيه فَخار

كالبدر تحتَ غمامةٍ من قسطل***ضَحْيَانُ لا يُخفيهِ عنك سَرار

حاول ابن هانئ أن يستلهم روح شعر المتنبي ونلمس ذلك في وقع الألفاظ المدوية، وفي المدح الذي يذهب فيه كل مذهب لارضاء ممدوحه، أما المعجم اللغوي فقد أخذه من الشعر الجاهلي, كذلك نجد ملمح التأثر بالنص القرآني،.ويبدو التأثر في الأسلوب الملحمي أيضا للتغني بالبطولة؛ أي تصوير ملحمة المعز ضد الروم في المغرب، كما صور المتنبي ملحمة سيف الدولة ضد الروم في المشرق. ونرى مراسم الإبداع في ابتكار صور يتباهى بها في وصف ممدوحه خاصة في وصف الأسطول، وهناك ميزة تدل على شخصيته المغربية تتمثل في رقة الأسلوب، دقة الذوق في اختيار الايقاع الموسيقي.

الفترة الحمادية الصنهاجية (380 هـ _ 547هـ):

بعد رحيل المعز العبيدي الفاطمي إلى القاهرة باشر يوسف بلكين بن زيري أمور الحكم، وقام بغزو مناطق من المغرب ليضمها إليه ويقطعها عن الأمويين بالأندلس. وانتصر في كثير من معاركه. وتوفي أثناء عودته إلى إفريقية سنة 373 هـ. وبويع بعده ابنه المنصور الذي كان يوثر السلم على الحرب واللين على العنف، وكان رجلًا عاقلًا عفيفًا عن الدماء، فجبلت الناس على محبته وقد دام حكمه ثلاثة عشرة سنة. وبعد وفاته سنة 386 هـ تولى ابنه باديس الذي دخل في حروب طاحنة مع أعمامه الذين ولاهم على بعض المناطق تقريبًا لهم وطمعًا في مؤازرتهم ووقوفهم في جانبه، إلا أن ظنه خاب فيهم، إذ انفصلوا عنه وخذلوه فاضطر لمحاربتهم والقضاء عليهم.

كما دخل في حروب طاحنة مع أمراء زناتة كزير بن عطية وفلفل بن سعيد الزناتي انتهت بانتصار ابن باديس.

وقد بلغت أصداء هذه الحروب وشجاعة ابن باديس إلى العبيديين في مصر فلقبوه بنصير الدولة، وأرسلوا إليه هدية فاخرة تثبيتًا له على الولاء والتبعية لهم. ولما توفي باديس سنة ست وأربعمائة بايعوا ابنه المعز الذي كان سنه حوالي ثماني سنين.

وفي عهد المعز هذا طرأت على الساحة الإفريقية أحداث بالغة الأهمية، أفرزت وضعًا جديدًا كان له تأثير واضح في تغيير المجرى السياسي والمذهبي والثقافي لإفريقية؛ فقد انفصلت الدولة الصنهاجية عن العبيديين، وانقسمت إلى دولتين، واكتسحها الأعراب وخربوها.

فبالنسبة لانقسامها إلى دولتين: فإن الخلافات التي كانت بين باديس وأخيه حماد طفت على السطح بعد مبايعة المعز بن باديس الذي لم يكن تجاوز الثماني سنين، فاستغل حماد صغر سن المعز وأعلن استقلاله عن الدولة، وزحف على المدن المجاورة للقلعة. فلما بلغ الخبر للمعز جهز جيشًا للقائه وزحف نحوه فانهزم حماد، وفر إلى القلعة وقبض على أخيه إبراهيم، فأظهر الرغبة في الصلح، فأستجيب له وتوقفت الحروب ووقع الاتفاق على تقسيم الدولة الصنهاجية إلى دولتين: أ_**دولة آل المنصور بن بلكين، أصحاب القيروان.**

ب_ دولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة:

تعد الدولة الحمادية الدولة الثانية التي تأسست بالجزائر خلال العصر الإسلامي، وكان بداية ظهور هذه الدولة منذ أن تولى حماد بن بلكين حكم الجزائر الشرقية، فبعد انفصال الصنهاجيين عن العبيديين أدرك الصنهاجيون أنه لا فائدة ترجى من إكراه الناس على اعتناق مذهب يمجونه ولا يستسيغونه. وقد لاحظوا أن أولياء نعمتهم- العبيديين- قضوا زهاء قرن من الزمن وهم يحاولون فرض التشيع على المغاربة بحد السيف وقهر السلطان ولم يفلحوا في ذلك، إذ اصطدموا بأناس عاضين على مذهب أهل السنَّة بالنواجذ، مستعدين بذل مهجهم وأموالهم في سبيل ذلك فرأى الصنهاجيون أن المصلحة تقتضي الرجوع إلى المذهب الأصيل والتخلي عن المذهب الدخيل ليحصل الاستقرار والتلاحم بين الحكام والرعية. فبدأوا يظهرون ميلهم ويعلنون توجهاتهم الجديدة شيئًا فشيئًا بدءًا من الترضي عن أبي بكر وعمر، وغض الطرف عن العامة الذين انقضوا على الشيعة وآذوهم. وكل هذا كان يراقبه العبيديون بقلق شديد، إلا أنهم فضلوا سلوك سياسة المهادنة والترغيب وإرسال الهدايا وإطلاق الألقاب، لكن بحلول سنة 433 هـ، ظهر كل شيء على حقيقته، وقطع الصنهاجيون علاقتهم كليا مع العبيديين، ودعوا على المنابر للعباسيين، وترضوا على الخلفاء الراشدين، وضربوا سكة خالية من أسماء العبيديين.

فلما وصل الأمر إلى هذا الحد، يئس الفاطميون من رجوع الصنهاجيين لولائهم فعزموا على الانتقام منهم.

لقد استطاع حماد بن بلكين أن يحقق للمغرب العربي ما لم يستطعه حكام المغرب قبله، وغدت الدولة الحمادية أول دولة بربرية بالجزائر الإسلامية، وكانت عاصمتها القلعة. وكانت العربية هي اللسان الرسمي للدولة الحمادية مع أن رؤساءها برابرة لكون العربية لغة القرآن والدين.

وقد ازدهر الأدب في فترة الحماديين من حيث الكم، وأما من جهة الكيف فظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية، وإن كان قد ضاع نتاج هذه الفترة بسبب الاضطرابات، إلا أن هناك رجالا جزائريين عاشوا في تونس وصل إلينا شيء من آثارهم الأدبية ومن هؤلاء:

أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني: عاش في بلاط المعز بن باديس، وكان رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية، وقد أهدى إليه ابن رشيق كتابه العمدة نظرا لمكانته السامية. ترك الشاعر أثارا شعرية منها أبيات في تشوقه لأهله

ولي كبد مكلومة من فراقكم***أطامنها صبراً على ما أجنت

تمنتكم شوقاً إليكم وصبوةً***عسى الله أن يدني لها ما تمنت

وعين جفاها النوم واعتارها البكى*** إذا عن ذكر القيروان استهلت

وقد عقب ابن رشيق على هذه الأبيات قائلا:«لو أن عربيا تذكر نجدا فحنّ به إلى الوطن أو تشوق فيه إلى السكن ما حسبته يريد على ما اتى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر.

ــ **ابن رشيق القيرواني:** خلف ما يربو على ثلاثين كتابا، منها "الشذوذ في اللغة"، و"العمدة"، وهذا الأخير كتاب نقدي متصل بقضايا الشعر.

خلف ابن رشيق ديوانا شعريا، ومما قاله في مدح يعني المعز بن باديس بن المنصور:

ذمّت لعينك أعين الغزلان*** قمر أقرّ لحسنه القمران

ومشت ولا والله ما حقف النقا*** مما أرتك ولا قضيب البان

وثن الملاحة غير أنّ دیانتي*** تأبى عليّ عبادة الأوثان

يا ابن الأعزّة من أكابر حمير*** وسلالة الأملاك من قحطان

من كلّ أبلج واضح بلسانه*** يضع السيوف مواضع التيجان

ومن رثائه:

أما لئن صحّ ما جاء البريد به ... ليكثرنّ من الباكين أشياعي

ما زلت أفزع من يأس الى طمع ... حتى ترفّع يأسي فوق أطماعي

فاليوم أنفق كنز العمر أجمعه ... لما مضى واحد الدنيا باجماع

قال: ومن هجائه::

قالوا رأينا فراتا ليس يوجعه ... ما يوجع الناس من هجو إذا قذفا

والجدير بالذكر أن ابن رشيق كان أول شاعر جزائري نظم في المجون والخمريات، ونحا نحو أبي نواس. ولابن رشيق كتاب هام عنوانه: "أنموذج الزمان في شعر القيروان". ولفظ "الزمان" في هذا الكتاب يعني أن ابن رشيق قد خصص كتابه للشعراء والأدباء المعاصرين لعهده، والذي كان يعج بالكثير منهم بلاط معز ابن باديس الصنهاجي.

– **عبد الكريم النهشلي**: هذا الناقد الجزائري هو أستاذ الحسن بن رشيق القيرواني، وهو كاتب وشاعر بارع، ولد بالمحمدية التي نسميها اليوم "المسيلة"، ورحل إلى القيروان واشتهر بكتاب في النقد عنوانه: "الممتع" طرح فيه قضايا هامة كمسألة القديم والجديد، ومسألة اللفظ والمعنى، والسرقات الأدبية، والطبع والصنعة.

– **ابن قاضي ميلة:** شاعر انتهج منهج عمر بن أبي ربيعة في الغزل فاعتمد الحوار القصصي في شعره. يقول في أحد المطالع: بذيل الهوى دمعي وقلبي معنف.

ــ **ابن الربيب:** كتب في النثر والشعر، من شعره قصيدة يمدح بها محمّد بن أبي العرب، قال فيها:

ولما التقى الجمعان و استمطر الأسى***مدامع منّا تمطر الدّمع و الدّما

بدا مأتم للبين غنّى به الهوى*** بشجو، وحنّ الشّوق فيه فأرزما

تصدّت فأشجت، ثمّ صدّت فأسلمت***ضميرك للبلوى عقيلة أسلما

– و قال يرثي المنصور بن محمّد بن أبي العرب:

يا قبر، لا تظلم عليه فطالما***جلّى بغرّته دجى الإظلام

أعجب بقبرٍ قيد شبر قد حوى*** ليثا و بحر ندى و بدر تمام

لابن الربيب التاهرتي رسالته عن ابن حزم الأندلسي هي أكبر شاهد على تفوقه في النثر الفني. كما تدل هذه الرسالة على أن الجزائريين كانوا على بينة من أخبار الملوك والأمراء والكتاب والوزراء.

يوسف أبو الفضل بن النحوي: تفنن في شعر التوسلات والابتهالات واشتهر بقصيدته المعنونة بـ: "المنفرجة"، من شعره:

لبستُ ثوبَ الرجا والناس قد رقدوا*** وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجِدُ

وقلت يا سيدي يا منتهى أملي*** يا من عليه بكشف الضر أعتمدُ

أشكو إليكَ أموراً أنت تعلمها*** مالي على حملها صبرٌ ولا جلدُ

وقد مددتُ يدي بالضرِّ مشتكياً*** إليك يا خير من مدت إليه يدُ

الفترة الحفصية :

من الأسماء البارزة في هذه الفترة:

محمد بن حسن القلعي: كان شاعرا سخي الدمع، سخي الجيب، ويده ويد الطلبة في كتبه سواء، لا مزية له عليهم، كان جيد الشعر، يسلك فيه مسلك أبي تمام. من شعره في الزهد:

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا *** أن المقام بها كاللمح بالبصر

أفناهم أولاهم وآخرهم *** لم يبق منهم سوى الأسماء والسير

أحمد بن أبي القاسم الخلوف: شاعر الحفصيين دون منازع، وُلد في قسنطينة في 3محرم829 هـ الموافق لـ 1425م.

له ديوان من جزئين، الجزء الأول حققه هشام بوقمرة سنة، كما ورد في مقدمة الديوان، والثاني حققه العربي دحو، وهذا الأخير عنوانه هو «جني الجنتين في مدح خير الفرقتين» والمعروف بديوان الإسلام، وهو ديوان شعري خاص بمدح الحضرة النبوية. من شعره في مديح المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلّم):

غَزَالَةُ الصُّبْحِ تَحْكِيْ نَرْجِسَ الغَسَقِ***وَصَارِمُ البَرْقِ يَحْكِيْ وَرْدَةَ الشَّفَقِ

وَغَادَةُ تُجْلى فِي الغَلائِلِ إِذْ *** أَلْقَتْ قِنَاعَ الدُّجَى عَنْ وَاضِحِ الفَلَقِ

وَعَنْبَرُ الغَيْمِ أَذْكَاهُ الشُّعَاعُ إِلى ***أَنْ عَمَّ نَشْرُ شَذَاهُ كُلَّ مُنْتَشِقِ

وَالرَّوْضُ يَضْحَكُ عَنْ ثَغْرِ الأَقَاحِ وَقَدْ*** أَبْكَتْهُ بالقَطْرِ عَيْنُ القَارِضِ الغَدِقِ

وَالنَّهْرُ يَنْسَابُ فِي مَجْرَى نِهَايَتِهِ *** كَمَا جَرَى الدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِ مُخْتَلِقِ

وَالرَّوْضُ يَجلو عَرُوسَ الزَّهْرِ في حُلَلٍ *** قَدْ جَمَّعَ الحُسْنُ مِنْها كُلَّ مُفْتَرِقِ

مِنْ أصفَرٍ فَاقِعٍ أَوْ أخْضَرٍ عَطِرٍ ***أَوْ أَبْيَضٍ نَاصِعٍ أَوْ أَحْمَرٍ شَرِقِ

فترة الزيانيين:

الزيانيون، بنو زيان أو بنو عبد الواد سلالة حاكمة تعود إلى قبيلة زناتة الأمازيغية حكمت المغرب الأوسط شمال غرب الجزائر حاليًا،حيث اتخذوا من تلمسان عاصمة لهم من أبر شعرائها:

أبو حمو موسى الزياني الثاني: هو أبو موسى بن أبي يعقوب بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، المعروف بأبي حمو موسى الثاني، من ملوك بني زيان، وهو الذي يقول في تلمسان:

"أهل تلمسان في دولتنا ***كالشمس لدى برج الحمل"

"و لقد بذلوا في خدمتنا *** أقصى الغايات بلا كسل"

"فلهم منا عدل و ندى *** ولنا منهم أقصى الأمل"

من آثاره الشعرية قصديته مطلعها:

لمن الرّكائب سيرُهن دميل***والصبر - إلا بعدهن – جميل

يا أيها الحادي رويدك إنها***ميل القلب حيث تميل

إلى أن يقول:

من لي بزورة الهادي الذي*** ما مثله في المرسلين رسول

وهي قصيدة لطيفة نظهما في مدح سلطان مصر الظاهر أبي سعيد برقوق وأرفقها بهديته إليه مع وفد الحجاج بعد إرسال هذا الأخير هدية إلى سلاطين بلاد المغرب الثلاثة بتونس وتلمسان وفاس بمشورة عبد الرحمن بن خلدون الذي كان مقيما بالقاهرة.[6]

ابن خميس التلمساني:

ولد بتلمسان سنة 645هـ وقيل سنة 650هـ (القرن 13 ميلادي). نشأ بتلمسان ودرس على علمائها، وعرف عنه حبه للعزلة. التقى في تلمسان الرحالة المغاربي العبدري عام 688هـ فأخرجه من عزلته وولاه السلطان أبو سعيد يغمراسن ديوان الإنشاء وأمانة سره.

بعد وشاية كاذبة هرب ابن خميس إلى الأندلس و إلى غرناطة بالتحديد اين نظم فيها اشعاره الباقية الى يومنا هذا و منها:

ألح الزمان بأحداثه ** فألقيت طوعا اليه السلاحا

و طوح بي عن تلمسان ما***ظننت فراقي لها أن يتاحا.
و أعجل سيري عنها و لم ***يدعني أودع تلك البطاحا
نأى بصديقك عن ربعه***فكان له النأي موتا صراحا
و كان عزيزا على قوم .***اذا هاج خاضوا اليه الرماحا

كان يجلس في الميناء ينتظر السفن القادمة من العدوة ليسأل عن تلمسان و أحوالها و تهب الريح فتذكره بها فيقول:

سل الريح ان لم تسعد السفن أنواء ***فعند صباها من تلمسان أنباء.

و كان اذا رأى الحمام تذكر حمام تلمسان فيقول :

و مما يشرد عني الكرى ***هديل حمام اذا نمت صاحا
ينوح علي و أبكي له ***فأقطع ليلي بكا و نياحا

ثم يقول :

أحن لها ما أطت الذيب حولها ***و ما عاقها من مورد الماء أظماء
فما فاتني منها نزاع على النوى ***و لا فاتني منها على القرب إجشاء

و تنفجر عاطفة الحزن عنده و تلح عليه الأشواق :

سحت بساحك يا محل الأدمع ***و تضرمت أسفا عليك الأضلع
لله أيام بها قضيتها ***قد كنت أعلم أنها لا ترجع

فترة المرينيين(647-814هـ):

ومع انتقال الحكم إلى المرينيين من برزت أسماء جديدة كالملياني وهو أديب شاعر. توفي عام (715هـ، 1315م). ومن شعره:

العز ما ضربت عليه قبابي * * والفضل ما اشتملت عليه ثيابي(28)

وبرز محمد ابن مرزق الخطيب، وأحمد بن قنفد القسنطيني، صاحب الرحلة المشهورة: "أنس الفقير، وعز الحقير". طبعت هذه الرحلة بالرباط سنة 1956 م. وله كتاب الوفيات.

فترة الجزائر العثمانية (1246-930هـ)

كان الأتراك رجال حرب، وليس رجال أدب، لذلك لم يهتموا برجال الثقافة. وسرى الضعف في مفاصل الأدب على عهدهم، فغلب عليهم طابع الجفاف. ولم يظهر أدباء حقيقيون إلا في القرن الحادي عشر، ومنهم:

أحمد المقري: الذي ولد في تلمسان سنة 986هـ، وخلّف ثروة أدبية منها "أزهار الرياض" و"نفح الطيب"، ومن جميل شعره:

لكن قدرة مثلي غير خافية * * والنمل يعذر في القدر الذي حملا

ومن روائعه أيضا:

فقل لجديد العيش لا بد من بلى * * وقل لاجتماع الشمل، لا بد من شت

هو القدر الجاري على الكره والرضى * * فصبرا وتسليما لما قدر الله

وفي موضع آخر قال:

سبحان من قسم الحظو * * ظ، فلا عتاب ولا ملامة

عبد الكريم بن محمد الفكون: عاصر هذا الأديب الرجل السابق، أحمد المقري. ومن مؤلفات عبد الكريم، رسالة من نوع الإخوانيات وشرح على أرجوزة "الماكودي" في التصريف وجزء في تحريم الدخان. توفي الفكون سنة 1073هـ/1663م.